مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-41X
مجلد: 08 عدد: 01 السنة: 2022 E-ISSN:2588-2325

خطاب الحراك الشعبي الجزائري من خلال الكتابات الجدارية، دراسة أنثروبولوجية

The discourse of the Algerian popular movement through the Graffiti, An anthropological study

فارح رمزي*، مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر، جامعة محمد خيضر -بسكرة-، ramzi.farah@univ-biskra.dz

بروقي وسيلة، جامعة العربي التبسي –تبسة-، alicebrougui@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/01/10 تاريخ القبول: 2022/05/15 تاريخ النشر: 2022/06/15

ملخص:

تأتي هذه الورقة البحثية كمحاولة نسعى من خلالها إلى فهم، تحليل وتأويل خطاب الحراك الشعبي الجزائري المتمظهر على شكل رموز في الكتابات الجدارية التي لا تزال هامشية بل ومهمشة على مستوى الاهتمام البحثي، من خلال إبرازها كموضوع بحثي في مجال الدراسات الأنثروبولوجية باعتبارها ممارسة إنسانية تكشف اللا مقول واللا معلن خلافا للخطابات المؤسساتية، بهدف فهم وتحليل هذه الجداريات المحملة برموز ومعاني من طرف الممارس (الغرافار) للوصول إلى تعرية الواقع من خلال التفاصيل والجزئيات الدقيقة والمعقدة للأحداث الماكرو والميكرو ذات معاني ودلالات مهمة التي تضمنها الحراك الشعبي الجزائري وفق مسار كرونولوجي للأحداث ومطالب الشعب التي تغيرت واختلفت من مرحلة إلى مرحلة أخرى بحسب ما يقتضيه وضع البلاد ومتطلعات الشعب، كذا التعرف على الخصوصية الثقافية الجزائرية وارتباطها بالحركة الاحتجاجية، توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها: أن الكتابات الجدارية إبداع فرداني يعبر عن فكر و توجه الجماعة و التي بدورها تكون حافظة لتاريخ الأحداث.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، الحراك، الكتابات الجدارية، الغرافار، المجتمع.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research paper comes as an attempt that we strive through it to understand the analysis and interpretation of the speech of the Algerian popular movement that appeared as symbols in the graffiti which still marginal but marginalized at the level of research interest by highlighting it as research topic in the anthropological studies by considering it order to understand and analyze these murals that loaded symbols and meanings by the practitioner (graphers) in order to strip the reality through the details and the molecules which are strict and complex the macro and micro events with an important meanings and connotations that were included in the Algerian popular movement according to a chronological path and the demands of the people which have changed and differed from one stage to another according to the situation of the country and aspiration of the people also the recognition of the Algerian cultural privacy and its connection to the protest movement through this study we reach several results most notable one is that the wall graffiti is an individual creation which expresses the thought and the orientation of the group which in turn maintain the history of events.

Keywords: Discourse, movement, muram writings, the grapher, society.

مقدمة

ظاهرة الغرافيتي ليست وليدة العصر أو الوضع الراهن بل أنها لم تبقى على طابعها المعهود، فأصبحت بمعناها المعاصر من أبرز الظواهر الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات والتي لم تحضى باهتمام بحثي في مجال الدراسات الاجتماعية، رغم أنها مثال حي ينم على مواكبة العصر والتعبير عن الآراء والتوجهات من خلال خطاب رمزي لغوي يتماشى مع مستجدات العصر، وقد ارتبطت ظاهرة الغرافيتي بمفهوم الحراك، والجزائر كنسق اجتماعي لم تكن بمعزل عن هذه الظاهرة حيث شهدت جدران المدن الجزائرية إقبالا كبيرا للشباب أملا في إيصال توجهاتهم وصب رسائلهم. في صورة انتفاضة شعبية ومسيرات احتجاجية سلمية قام بها الجزائريون من أجل إيصال أراءهم أملا في تحقيق مطالبهم، ففي ظل الظروف المعيشية المتدنية على جميع الأصعدة الحياتية تشكل نظام سياسي يقوم ضمنيا على أسس دكتاتورية رغم أنه ديمقراطي ظاهريا، هذا ما دفع الى محاولة التغيير، باعتباره منطقا اجتماعيا لصيق

بكل المجموعات البشرية، فطبيعة الإنسان الاجتماعية تجعله يتفاعل مع الأشخاص والأحداث، ويميل دائما للتغيير في شتى المجالات الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية وخاصة منها السياسية، باعتبار أن دافع التغيير السياسي يكمن أساسا في انتشار الفساد، الفشل الحكومي، البيروقراطية وغيرها من المسببات التي تدفع الأفراد للتفكير بشتى الطرق للتصدي له، والعمل على التغيير السياسي الراديكالي والحراك الشعبي الجزائري مثال واضح وجلي على ذلك.

هذه المعطيات الغير متوازنة كانت دافع إلى انتفاضة الشعب الجزائري وخروجه إلى الشارع ليطالب بتغيير جذري كامل وشامل، كذا المطالبة بحكومة تكنوقراطية تحت شعار "الشعب هو السلطة ". بمعنى اخر إيصال رسائل إلى القائمين على نظام الحكم (القادة السياسيين) تحوي في دلالاتها عدة مطالب وأهداف.

وعلى هذا الأساس ستركز الدراسة الحالية على فهم وتحليل مضمون هذا الخطاب الرمزي انطلاقا من الإشكال الاتي:

- ما هي دلالات خطاب الحراك الشعبي المتضمن في الكتابات الجدارية؟

1. التأويلية الرمزية مقاربة لفهم مضمون خطاب الحراك الجزائري من خلال الكتابات الجدارية:

يذهب الدكتور (أحمد شراك) إلى أن الغرافيتيا (الكتابات الجدارية) تصنف ضمن خانة الثقافة المضادة على أن تفهم الثقافة المضادة بأنها مجمل القيم والأفكار والسلوكيات التيأنتجتها شرائح اجتماعية مختلفة لم تستوعبها الثقافة السائدة (شراك ، 2009، صفحة 131)

إضافة إلى ذلك اعتبر شراك الغرافيتيا ثقافة جماهيرية باعتبار هذه الأخيرة تعتمد وسائل إتصال بها دور بارز على المستوى المرئي (شراك ، 2009، صفحة 133)، أي أن الغرافيتيا تملك خاصية الإرسالية والخطاب. إستنادا إلى طرح الدكتور أحمد شراك سنتطرقإلى الكتابات الجدارية باعتبارها سلوك ثقافي مكون من رموز محملة بمعاني ودلالات مختلفة، بذلك يكون "البحث في معاني الرمزية وتأويلها من المنظور الأنثروبولوجي أضحت تتميز بالحضور اللافت في مجال البحوث الأنثروبولوجية الراهنة" (كوسة ، 2021، صفحة 294)، وعلى هذا الأساس نسعى الى البحث من خلال التأويل الرمزي لفهم و تحليل خطاب الحراك الشعبي من خلال الكتابات الجدارية باعتبارها ثقافة مضادة وجماهيرية، اعتمادا على آليات تفكيك

الانثروبولوجي وفهم الرمزية الكامنة في الجداريات والوقوف على تأويل دلالاتها تتيح لنا إمكانية الفهم الشامل لخطاب الحراك.

2. الكتابات الجدارية في الجزائر بين التاريخ والحاضر:

تقول (لبني، 2016، صفحة 121)"إن الحديث عن تأصيل دقيق في ظاهرة الكتابات الجدارية يدخل في باب التكهن "؛ إلا أن كهوف الطاسيلي دليل على ظهور الظاهرة من ألاف السنين. حيث ترك الإنسان تجاربه وخبراته على الجدران، كان دافع الكتابة في هذه الفترة هو تخليد وقائع تاريخية ومظاهر الحياة السوسيو-ثقافية وكذا أسماء الشخصيات التاريخية، باختصار كانت تشكل جزء من ممارسات الإنسان اليومية. بعد هذه الفترة لم نلمس أي دليل تاريخي يثبت تطور الكتابات الجدارية وظهورها في أي حقبة زمنية إلا مع فترة الإستعمار، حيث "كانت الكتابات الجدارية هي أول من أخبر الجزائريين بقرب بداية الثورة المسلحة على المستعمر..... وظهرت كتابات مجهولة المصدر تشير إلى عدم جدوى العمل السياسي وإلى حتمية تغيير أسلوب التعامل مع الفرنسيين" (لبني، 2016، صفحة 122)، خلال هذه الفترة (ثورة الفاتح من نوفمبر) التي وصفها برساي بقوله: "حرب الجزائر هي حربا للغرافيتيا" (Gilbert, 1993, p. 20)؛ نوافق رأى برساي لما نشهده من أدلة تاريخية تثبت غزو الكتابات الجدارية (الغرافيتيا) للمدن الجزائرية إبان ثورة التحرير، وفق نموذج أفضل ما يطلق عليه (كتابات جدارية ثوراتية) لما تحمله من رموز ودلالات ذات معنى يحث إلى الثورة والانتفاضة ضد المحتل، كجدارية "إزرع الثورة"_التي ورثها الشعب الجزائري لفظا ومعنى في أحداث لاحقة سنتناولها في بقية طرحنا للموضوع.

ثم ارتقت ظاهرة الكتابة على الجدران إلى فن تعبيري يحمل صفة وقيمة جمالية ويتضمن وظيفة تواصلية تعمل على نشر حملات ووصف أوضاع اجتماعية والتعبير عن المكنونات واراء وتوجهات الأفراد، إضافة إلى إعتماد الوحدات الغرافيتية كأداة فعالة في نشر وإطلاق ثورات في كل الجوانب الحياتية، يركز مقالنا على الحراك كنموذج لثورة اجتماعية سياسية.

إتسم هذا الفن بالإحاطة لكل مجالات الحياة الاجتماعية، النفسية، الثقافية، العاطفية والسياسية، من خلال استخدام دلالات رمزية إيحائية وهذا ما جعل موضوع الكتابات الجدارية في صلب مواضيع الأنثروبولوجيا لما لها من مناهج وأدوات قادرة على استنطاق الواقع الاجتماعي وتعريته بناء على رمزية ودلالة الجداريات.

بلغ هذا الفن قمته في مسايرة الأحداث الرياضية خاصة منها تأهل الفريق الوطني الجزائري لكرة القدم إلى نهائيات كأس إفريقيا ثم نهائيات كأس العالم، من هنا أخذت الكتابات الجدارية بعدا آخرا خلافا

لما هو معهود فالنموذج الإفتراضي أو الجدار الإلكتروني (صفحات التواصل الاجتماعي) باتت فضاءات جد واسعة للتعبير، الشتم، التصريح، النصائح وإعطاء الرأي (عامرة، 2020، صفحة 92).

تجدر الإشارة إلى التعالق الواضح بين الجدارين الإسمنتي والجدار الإفتراضي لا من حيث البنية المادية إنما من حيث وظائف التواصل والكلام، لأن كل وظائف الجدار الإسمنتي توفرها شبكات التواصل الاجتماعية، هذا ما يجعلنا نزعم أن الكتابة على الفايسبوك وكل مواقع التواصل الاجتماعي هي غرافيتيا بامتياز ففي النهاية هي تطور تصاعدي في حامل الجدار الإسمنتي إلى الإلكتروني (شراك ، 2009، صفحة 140). إستنادا إلى رأي الدكتور أحمد شراك سنتطرق إلى جداريات الحراك الإسمنتية ومبرر ذلك هو تحديد وحصر ميدان الدراسة والتركيز إلا على الجداريات المكتوبة على الجدار الإسمنتي.

3. الكتابات الجدارية أداة احتجاج سياسي:

فرض الواقع الاجتماعي على الفرد خلق وإستحداث وسائل تعبيرية يحقق من خلالها التفاعل الاجتماعي، فالكتابات الجدارية إحدى هذه الوسائل التي عرفت منذ الأزل لكن لم تبقى على طابعها وشكلها المعهود، اعتمدها الأفراد خاصة منهم فئة الشباب في نشر وإيصال أفكار وأراء اجتماعية، ثقافية وسياسة، حيث أصبح الشاب لا يجد صعوبة في إيصال خطابه للآخرين، بصفته فاعل اجتماعي حدد فضاء اتصالي هامشي لا مؤسساتي يعبر من خلاله عن توجهات متعددة خاصة منها السياسية بذلك تكون قد " تحولت الكتابة على الجدران من مجرد وسيلة عابرة وخربشات مراهقين إلى رسائل وخطابات جادة لكونها أصبحت هتافات سياسية"(المالكي، 2009، صفحة 64) هنا نلمح تغيير واضح وجلي لوظيفة الكتابات الجدارية من التعبير عن النزوات الشبانية العابرة وخربشات مراهقين وبإختصار خطاب عامي لا رسمي إلى خطاب جاد واعي يهتم بالقضايا السياسية من خلال إبداء رأي ناقد معارض أو مؤيد وإطلاق أفكار حاقنة للروح الثورية و التغييرية ، نضرب مثال ب " النطاق العربي الذي انتشرت فيه الكتابات الجدارية تعبيرا عن المشكلات الإنسانية ... وتمثل الغرافيتي أداة اجتماعية فعالة و مؤثرة في تحقيق أهدافها السياسية و الاجتماعية فالجدران تبقى ملكا للعامة و ما يرسم عليها هو فن شعبي يخرج ببساطة من الجماهير أو أشخاص مبدعين "(المالكي، 2009، صفحة 65)، ليعبرو بكل حرية بلغة عامية طالما كانت فضة جارحة وناقدة، هذا راجع لحفظ مجهولية الممارس مما يجعله يعبر بكل حرية.

انطلاقا مما سبق تعتبر الكتابات الجدارية احتجاج فرداني إبداعي يعبر عن تمثلات، أفكار، توجهات وحاجات الجماعة داخل وسط اجتماعي و ثقافي معين، حيث اعتبرت الجماهير الجدران حق للشعب وورقتهم البيضاء لإرسال رسالتهم كاملة غير منقوصة، وعبروا من خلالها عن مضامين سياسية احتجاجية طالما احتوت الانتقال من نظام دكتاتوري غير عادل اجتماعيا يفتقد المساواة و الحرية

الشخصية إلى نظام ديمقراطي بامتياز خير ما يميزه المساواة الاجتماعية والديمقراطية التي تعطي للشعب الحق في تقرير مصيره، إضافة إلى الرغبة في تغيير القادة باعتبار أنهم إحدى أهم مكونات النظام السياسي المؤثرة في بنيته و سيرورته، كما أن الكتابات الجدارية من شأنها التحريض على إطلاق ثورات معارضة للحكومات بالقيام على خطابات ذات دلالات تاريخية وفق مبدأ التغيير السياسي الراديكالي من وضع إلى وضع أفضل. وعبرت الكتابات الجدارية على صوت الشارع كنوع من المعارضة وأنماط المقاومة خاصة في ظل غياب أساليب ووسائل حوار رسمية بين الشعب والسلطة الحاكمة. في نفس السياق عكست كيفية رفع ثورات بدون قيود، وليس هذا فحسب بل صارت جداريات تخليدية للثورات بمعنى اخر أصبحت تاريخ يعتز به الشعب. كما يرى أحمد شراك أن أكبر ما يميز الكتابات الجدارية على إمتدادها التاريخي هو الحرية التامة في التعبير والتواصل، خلافا لكل خطاب مؤسساتي، بهذا نصل إلى أن حرية التعبير لها صدى في الكتابات الجدارية كونها لا تخضع لأي رقابة، يعبر الفرد عن رأيه وتوجهاته انطلاقا مما هو شخصي ذاتي إلى ما هو اجتماعي سياسي (شراك أ.، 2013، الصفحات 162-163). ووفق مبدأ اللامعيارية تحافظ الكتابات الجدارية على مجهولية الممارس(الغرافار) بهذا يكون قد تم إيضاح النقاط التالية:

- وظيفة ودور الكتابات الجدارية في محاكاة الأحداث السياسية.
- الكتابات الجدارية وسيلة احتجاج سياسي تتميز بحفظ مجهولية الممارس وحرية التعبير.
- الكتابات الجدارية تحافظ وتوثق تاريخ الثورات الاحتجاجية في حالة ما لم تتعرض إلى المحو.

4. مضمون خطاب جداريات الحراك الجزائري:

بالتمعن في المسار التاريخي للمجتمع الجزائري نلمس حداثة مثل هذه المواضيع (الحراك)، فالمجتمع الجزائري منذ الإستقلال لم يشهد عمل ثوري جماهيري سلمي ولم يقود ثورة شعبية بهذا الحجم، لذلك من العدل أن نقر لأنفسنا بحداثة الموضوع الثوري في المحيط العربي، هذا ما جعل الموضوع الأساسي في الآونة الأخيرة هو الحراك الشعبي، كونه حدثا سياسيا هاما ومسارا لم يكتمل و لا يزال تأثيره ملحوظ على الساحة السياسية الجزائرية.

فتاريخ 22 فيفري 2019 بداية انتفاضة الشعب الجزائري على صورة فعل احتجاجي جماهيري سلمي من أجل تحقيق مطالب مختلفة تحت مبدأ هام وأساسي هو التغيير. وبعد خروج الملايين في هذه الانتفاضة ظهر إلتحام وتكاتف كل الأطياف المجتمعية سوى جنسية، عمرية والمستويات العلمية والثقافية وظهرت أيضا شعارات وعبارات تحمل دلالات رمزية، عند الإقتراب لها بآليات التحليل والتأويل الأنثروبولوجي تظهر وتتجلى لنا مسببات وأهداف الحراك. فالفضاءات التي اعتمدها الأفراد الجزائريين

للتعبير اختلفت وتوسعت والجامع بينها هو الوظيفة الاتصالية المتمثلة في إيصال الرسالة إلى السلطة الحاكمة، وكانت الكتابات الجدارية الإسمنتية والافتراضية (الإلكترونية) وسيلة فعالة لتحقيق هدف تواصلي لا رسمي، لذلك ومن زاوية أنثروبولوجية فإن فهم خطاب الحراك الشعبي يستدعي معرفة متطورة للجزئيات التي تشكلها الأفراد الجزائريين بأنفسهم عبر تفسير معنى ورمز الجداريات وتحليلها وتأويلها والغوص في كل الأبعاد والمؤشرات المتضمنة في هذه الكتابات وفق المنظور الثقافي للكتابات الجدارية والتطور الاجتماعي للحراك الجزائري باعتباره سلوك اجتماعي سياسي، من هذا المنطلق سيتم تحليل الكتابات الجدارية وفق منطق تعددية الأبعاد.

1.4 المسار الكرونولوجي للحراك الشعبي الجزائري

في خضم التطرق لموضوع الحراك الشعبي يستلزم التطرق للمسار الزمني للحراك من أجل فهم وتحليل مضمون ودلالات الخطاب الذي دار في كل مرحلة، وعليه يمكننا الإشارة لبعض الجداريات الموضحة لذلك.

الصورة رقم(01): لا للعهدة الخامسة

المصدر: من تصوير الباحث

تمثل هذه الجدارية خطاب لغوي واضح المضمون والمدلول، بأن الفرد الجزائري رافض تماما ترشح الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة للعهدة الخامسة، جاء هذا بعد ترشح بوتفليقة وهو في وضع صحي لا يسمح له بممارسة نشاطه كرئيس دولة "فالأزمة التي أثارها ترشح الرئيس بوتفليقة للعهدة الخامسة بينت المأزق السياسي لنظام ظل يتردد في القيام بإصلاحيات عميقة يسرت عملية الانتقال الديمقراطي إلى نظام تعددي، وتداول سلمي على السلطة...وفقدان العملية السياسية مصداقيتها (السيطلي ، 2019، صفحة 6)، وقد كانت هذه الشعلة الأولى لانتفاضة 22 فيفري 2019 بعد جملة من

المؤثرات السوسيو-إقتصادية والسوسيو- ثقافية التي كونت سياسة متسلطة تجلت أثارها السلبية في مجالات الحياة اليومية، مما ولد تحقين وضغط للفرد الجزائري، ومع تفاقم مشاكل البطالة، التهميش، الفشل الحكومي، الفساد وغيرها من المسببات الباطنية لقيام الحراك الشعبي هنا تجدر الإشارة إلى أن كل ما قيل عن أسباب الحراك هو عمل ناقص إذ ما تم إسقاطه على الواقع وتبرير ذلك أن جل الدراسات اعتمدت التحليل بوحدانية العامل، هذا ما يدفعنا كأنثربولوجيين إلى التحليل بتعددية العوامل اعتمادا على معطيات ميدانية من وجهة نظر الفرد الجزائري. على هذا الأساس تم تحليل هذه الجدارية ومدلولها وفق شعارات مختلفة، وهي رسالة واضحة المعالم تثبت رفض المجتمع الجزائري ترشح عبد العزيز بوتفليقة لعهدة خامسة ومن بين الجداريات التي تناولت هذا المطلب هي **"جيبو البياري وزيدوا الصاعقة، ما كاش الخامسة يا بوتفليقة"** وغيرها من الجداريات ذات نفس الدلالة منها جداريات إلكترونية وأخرى إسمنتية يجمع بينهما دلالة رمزية ذات هدف ومعنى واحد، هذا ما يذهب إليه سامح الشريف " يجب أن يكون الشعار له هدف واضح أمام الجمهور المستهدف حتى يكون ناجحا فإذا إفتقد لهذه السمة قد يراه الجمهور عبثيا ونمطيا" (الشريف، 2017، صفحة 56).

الصورة رقم (02): سلمية حضارية

المصدر:

https://www.google.com/imgres?imgurl=https%3A%2F%2Flookaside.fbsbx.com%2Flookaside%2Fcrawler%2Fmedia%2F%3Fmedia_id%3D404304793485492&imgrefurl=https%3A%2F%2Fwww.facebook.com%2Ftouta.fda%2Fposts%2F404304840152154%2F&tbnid=ur8iPsHy_MaktM&vet=1&docid=r8ne-O5pdkLoGM&w=960&h=720&itg=1&hl=fr&source=sh%2Fx%2Fim.

"تميز الحراك الجزائري بطابعه السلمي الذي عبر عن نضج المجتمع الجزائري وثقافة المواطنة العالية لدى الشعب الجزائري "(بن بعطوش و شابي، 2019، صفحة 12). هذا ما عبرت عنه هذه الجدارية من خلال دعوة الفرد الجزائري إلى المحافظة على الطابع السلمي للحراك والتحلي بسلوكيات حضارية داخل فضاء الحراك. وحسب رأي كلود ليفي ستروس فإن حقيقة ومعنى أي شيء لا ينبغي أن يبحث عنها في ما هو ظاهر منه وبارز بل فيما هو مستتر (لومبار، 1997، الصفحات 268-269). وبإسقاط رأي ستروس في تحليل هذه الجدارية نجد شعار سلمية يخفي وراءه سياق تاريخي يكمن في العنف الذي طالما رافق هذه الحركات الاحتجاجية والإنتفاضات مما يؤدي إلى مواجهتها بالقمع وبالتالي فشل الانتفاضة ككل. وهذا ما يؤكد مخاوف الشعب الجزائري من سلوكيات العنف الفردية التي يكون مآلها عنف جماعي، لذلك إعتمد الشعب الجزائري هذا الشعار منذ بداية الحراك و تم تكراره على مستوى فضاءات متعددة سمعية و بصرية كوسيلة ضبط وتوجيه السلوك، إضافة إلى عدة شعارات جدارية ذات نفس الدلالة إستعان بها الفرد الجزائري لتوجيه سلوك الأفراد في الحركة الاحتجاجية، و ما ميز هذه الشعارات هو تكرارها و التركيز على تطبيقها في جميع محطات المسار الكرونولوجي للحراك " إذ يلعب التكرار دورا مهما و أساسيا في حفظ المثير الدعائي و هو ما يساعد على زيادة فعالية الشعارات و تأثيرها على الجمهور المستهدف " (الشريف، 2017، صفحة 62). واستنادا إلى ذلك يكون رفض ترشح عبد العزيز بوتفليقة والتركيز على سلمية الحركة الاحتجاجية هي الخطاب الأساسي للمرحلة الأولى المحددة بتاريخ 22 فيفري 2019 للحراك الجزائري والجداريات التي تم تناولها تثبت ذلك.

الصورة رقم (03): ترحلوا يعني ترحلو

المصدر: من تصوير الباحث

الصورة رقم (04): يتنحاو قاع

المصدر: من تصوير الباحث

تحمل جدارية (يتنحاو قاع) و(ترحلو يعني ترحلو) دلالة على أن الشعب الجزائري لم يكتفي بمطلب رفض ترشح الرئيس السابق، فبعد 18 أبريل 2019 أدلى عبد العزيز بوتفليقة عدم ترشحه للعهدة الخامسة واستمر الشعب في مرحلة موالية خلقت حالة من ضرورة الاستمرار ، أنسب ما يطلق على هذه المرحلة الصراع من أجل عدم الاعتراف، بمعنى آخر انتفضت الجماهير من جديد وشهدت شوارع المدن الجزائرية ملحمة لا تقل عن سابقتها مطالبين بتنحي كل القادة السياسيين واصفين إياهم بالعصابة . أين اعتمد الشعب الجزائري على الجدار كفضاء للحوار مع السلطة الحاكمة "بذلك أثارت تلك الجداريات ثقافة بصرية جديدة تثير الوعي السياسي "(Abaza, 2013, p. 122)،بالتالي كانت هذه المحطة الأساسية الثانية في المسار الكرونولوجي للحراك الشعبي الجزائري ذات دلالة رمزية نختصرها في السعي وراء التغيير الشامل للقادة السياسيين باعتبارهم المكون الأساسي للنظام السياسي وتنحيتهم خطوة أولى للتغيير الشامل لكل البنى السياسية، الثقافية، الاجتماعية...

الصورة (05): مكانش VOTE

المصدر: تصوير الباحث

الصورة (06): لا للتدخل الأجنبي

المصدر: تصوير الباحث

بعد التحقيق الظاهري لبعض مطالب الحراك تم تنظيم انتخابات رئاسية في12ديسمبر2019 انتهت بإنتخاب عبد المجيد تبون رئيسا للجزائر، مما جعل هذه الخطوة تحقين للغضب في نفوس الجزائريين وجدارية "ماكاش لفوط" هي عنوان انتفاضة مقاطعة الانتخابات، حيث رفض الشعب إجراءها باعتبار أنها تخطيطا للمخلفات البشرية للنظام القديم وهذا راجع أيضا لفقدان الثقة في نزاهة الانتخابات من جهة وغياب شخصية قيادية يجد فيها الشعب الجزائري مميزات القائد الأول في البلاد.

أما جدارية "لا للتدخل الأجنبي " أو بمعنى اخر هذه بلادنا و هذا مجتمعنا و نحن قادرون على حل مشاكلنا بأنفسنا تدل على أن الشعب يرى الانتخابات هي إحدى حلول الأجندات الأجنبية بذلك رفض هذا الحل تماما مفضلا أن تكون مشاكل دولته تحل داخل حدودها و أن القضية لا تقبل طرف ثالث الحكومة والشعب.

الصورة (07): يسقط حكم العسكر دولة مدنية

المصدر: تصوير الباحث

الصورة رقم (08): الشعب هو السلطة

المصدر:https://images.app.goo.gl/Gex532zQV9mkn4bA6

على الرغم من أن جدارية "الشعب هو السلطة " و "يسقط حكم العسكر، دولة مدنية " إحدى مطالب الشعب الأولية للحراك إلا أنها دامت وتجذرت في كل محطات الحراك إلى حد إعتبارها المرحلة الأخيرة والتي لا تزال متواصلة.

اعتمدت هاتان الجداريتان إيديولوجية شعبوية بإمتياز تمجد الشعب وتلح على عدم تدخل النظام العسكري في تقرير مستقبل ومصير الدولة والأفراد بصفة عامة من منطلق أنها دولة شعبية ديمقراطية من جهة ومن جهة أخرى الخلفية التاريخية لتدخل الجهاز العسكري في الحركات الاحتجاجية للدول العربية في سياق الربيع العربي، حيث خلفت مظاهر سلبية على جميع المستويات وكان الخاسر الوحيد هو الشعب.

"إن إزاحة أشخاص معينين أو إزاحة زمرة معينة تفتح المجال أمام مجموعة أخرى لتحل محلها وقد تكون هذه المجموعة من الناحية النظرية أكثر دعة في ممارساتها "(شارب ، 2009، صفحة 13). هذا ما جعل الجماهير تشدد على مطلب الشعب هو السلطة لتفادي أي اختلال في النظام السياسي يتسبب في النخبة القائدة الجديدة، رافضين بذلك تدخل الجهاز العسكري خوفا من وقوع خسائر فادحة في أبناء الشعب الثائر ضد النظام السياسي، أملا في بناء دولة مدنية مستقلة بذاتها ظاهريا وضمنيا، يكون فيها الشعب السلطة الأولى.

الصورة رقم (09): كورونا

المصدر:https://images.app.goo.gl/W26U7v9vSV5mqDku7

ترمز هذه الجدارية إلى إجتياح وباء كورونا مختلف دول العالم بما فيها الجزائر، ففي الوقت الذي أعلنت الجزائر تسجيل أول حالات الإصابة بهذا الوباء يوم 20 فيفري 2020 بدأ النقاش حول مستقبل الحراك، كون جائحة كورونا لم تنحصر آثارها على النواحي الاقتصادية الاجتماعية بل باتت لصيقة الأبعاد السياسية خاصة في الدول التي شهدت حراكا شعبيا على نحو يعبر عنه حراك الجزائر.

بهذا دخل الشعب الجزائري في إزدواجية الموقف بين تعليق الحراك والمسيرات مؤقتا وبين الدعوة للتمسك بمواصلة الحركة الاحتجاجية، و في هذا نفهم رمزية الجدارية، بأن الإتجاه الغالب هو من أجل الحركة الاحتجاجية إثباتا لوعي ونضج المجتمع الجزائري، حيث لم يستسلم و لم يفرط في مطالب الحراك، بل علق الحراك إلى فترة لاحقة وفق أولوية الصحة الفردية و الجماعية على حساب الحقوق السياسية والاجتماعية، تفاديا لانتشار الوباء، وكانت جمعة 20 مارس 2020 أول جمعة بدون مسيرات احتجاجية شعبية في المدن الجزائرية وآخر محطة كرونولوجية أساسية في مسار الحراك الشعبي.

بهذا يكون الشعب الجزائري دخل في مرحلة جديدة أنسب ما يطلق عليها "الجزائر الجديدة .....هذه الجزائر التي انتظرتها أجيال ما بعد الإستعمار "(دبلة، 2021، صفحة 41) أي ان الشعب الجزائري يطمح في النهوض ببلده الى دولة جديدة تقوم على الحرية والمساواة والعدل وفق مبدأ الشعب هو السلطة. خلاصة هذا المسار الكرونولوجي للحراك الشعبي الجزائري هو توجه تغييري في الواقع السوسيو-سياسي عبرت عنه الوحدات الغرافيتية التغيرية المختلفة وكانت حافظة لتاريخ أحداثه.

2.4. الدلالات السوسيو-ثقافية في جداريات الحراك الجزائري:

خلافا لما تم التطرق إليه من مسببات ومطالب الحراك الشعبي الجزائري الذي كانت تصب أغلبيتها في الوعاء السياسي، لاحظنا في ميدان دراستنا وجود مؤشرات لأبعاد سوسيو-ثقافية خاصة بالمجتمع الجزائري معبرة عن الخصوصية الثقافية سنتناول منها:

الصورة رقم (10): إذا اتحلفت فيك المرأة بات قاعد والمرأة الجزائرية غاضبة

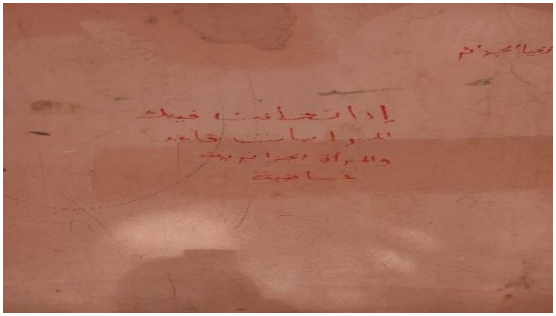

المصدر: تصوير الباحث

لاحظنا في هذه الجدارية **" إذا تحلفت فيك المرا بات قاعد والمرأة الجزائرية غاضبة "** المتواجدة في سور ثانوية بولاية تبسة تعبير عن المعتقدات الشعبية للمجتمع الجزائري، مما يجعل الجمهور أكثر قبولا لمثل هذه الشعارات التي تسهل التفاعل من خلال مؤثرات سوسيو-ثقافية. وهذا ليس بالأمر الغريب حضور التصورات الشعبية المجتمعية بما أن الحراك في حد ذاته سلوك مجتمعي، بل على عكس ذلك تكون هذه المعتقدات داعمة للحركة الاحتجاجية خاصة من ناحية الخصوصية الثقافية للحراك " فالمعتقد الشعبي باعتباره نتاجا عقليا وجدانيا كلاميا لتراكمات زمنية عميقة "(السهلي، 2020، صفحة 6) يبرر وجوده وحضوره، كون المعتقد الذي تعتقد به جماعة في هذا العصر ينم على تاريخ واحد مشترك.

الصورة رقم (11): قوتنا في وحدتنا

المصدر: تصوير الباحث

إنتشرت وتعددت الجداريات التي تحمل دلالة الوحدة الوطنية وهذه الجدارية المتواجدة بإحدى المحلات المهجورة في ولاية قسنطينة مثال على ذلك. انطلاقا من زاوية تاريخية نجد أن الجزائر في فترة الإستعمار الفرنسي إتحد أبناؤها لإسترجاع حرية وسيادة الوطن، ونلاحظ الآن الأحفاد يسيرون على نفس الخطى، وهذا دليل على أن الوحدة الوطنية مبدأ يسير عليه كل جزائري. وأثبت ذلك الحراك الجزائري، فقد شدد الشعب الجزائري على شعارات الوحدة الوطنية بغض النظر عن الاختلاف العرقي، الإيديولوجي والقومي، كل هذا بهدف التصدي إلى كل من يحاول التأثير على مقومات الوحدة الوطنية للمجتمع الجزائري، مما يمكننا القول إن الشعب الجزائري إعتمد الوحدة الوطنية سلاح للانتفاضة، فالشعب الجزائري مجموعة أفراد يجمعها نظام اجتماعي واحد، تشترك في ثقافة منظومة اكسيولوجية وموحدة هذا ما زاد من تمسكهم وقوتهم.

مما سبق نصل إلى ان حضور الجانب السوسيو-ثقافي في جداريات الحراك بمثابة تعبير عن الخصوصية الثقافية والاجتماعية والهوياتية للشعب الجزائري وكذلك إعتزازه بها.

توصلت دراستنا الى النتائج الاتية:

1. الرسائل السوسيو-سياسية هي محور جداريات الحراك وغايتها؛
2. الكتابات الجدارية هي إبداع فردي يعبر عن فكر، توجه وإيديولوجيا الجماعة، بمعنى اخر ان الممارس أو الغرافار يعبر عن توجهات الجماعة من خلال الكتابة على الجدران؛
3. مثلت الكتابات الجدارية أداة فعالة لتوثيق أحداث الحراك وحفظ تاريخيه في حالة ما لم تتعرض إلى المحو؛
4. عبرت الكتابات الجدارية عن جل مشاكل وطموحات وأهداف الشعب الجزائري في ظل الانتفاضة الشعبية للحراك؛
5. رسمت دلالات ومعاني الكتابات الجدارية مسار كرونولوجي للحراك الشعبي بداية من تاريخ 02/22/ 2019برفض الشعب الجزائري ترشح عبد العزيز بوتفليقة إلى عهدة خامسة مرورا بعدة مراحل أساسية وصولا إلى تاريخ 20 مارس 2020، وتوقف هذه المسيرة الاحتجاجية تحت وطأة الحتمية (كورونا)؛
6. عكست جداريات الحراك التركيبة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري؛
7. كانت الكتابات الجداريات من أجدى الوسائل الفعالة في بناء الرأي العام وبناء مواقف مشتركة خلال الحراك الشعبي الجزائري؛
8. تصنف الوحدات الغرافيتية المدروسة في ظل الحراك الشعبي الجزائري ضمن خانة الغرافيتيا التغييرية؛

خاتمة:

في الختام نصل إلى أن الحراك الشعبي الجزائري مهما تعددت أهدافه ومناهجه وطرق التعبير فيه، يبقى القاسم المشترك هو السعي وراء التغيير الجذري من وضع إلى وضع أفضل منه، هذا ما تبينه الكتابات الجدارية التي اعتبرتها بعض فئات الحراك وسيلة وأداة فعالة لإيصال أفكارهم وتوجهاتهم وإطلاق الثورة الاحتجاجية، فدونوا مشاكلهم ومطالبهم وأهدافهم على الجدران بأشكال مختلفة. بذلك اختلفت تصورات الأفراد لهذه الجداريات فمنهم من اعتبرها سلوك إيجابي بناء ويمثل نقطة قوة، ومنهم من ذهب إلى أنها سلوك غير حضاري بدون فائدة، لكن نظرتنا كأنثروبولوجيين تكمن في فهم رمزية خطاب هذه الجداريات دون تقييم وإطلاق أحكام بخصوص هذا السلوك أو الظاهرة من منطلق الأنثروبولوجيا تبحث عن المعنى، ولفتح مجال البحث أمام الباحثين للنقاش العلمي الأكاديمي في الموضوع نطرح إشكالية الجداريات المعبرة عن الجزائر الجديدة وما مضمونها ودلالاتها؟

قائمة المصادروالمراجع

أحمد شراك . (2009). *الكتابة على الجدران المدرسية* . الرياض المغرب: دار التوحيد للنشر و التوزيع ووسائط الاتصال.

أحمد شراك . (2009). *الكتابة على الجدران المدرسية*. الرياض المغرب: دار التوحيد للنشر و التوزيع ووسائط الاتصال.

أحمد عبد الحكيم بن بعطوش، وأمينة شابي. (جوان, 2019). العمل التطوعي للنوع الاجتماعي في الحراك الشعبي الجزائري . باتنة : . العدد 6. *مجلة المقدمة للدراسات الانسانية و الاجتماعية* (السادس)، 24-7.

أميرة المالكي. (2009). غرافيتيا الحرب و السلاح، الكتابة على الجدران. *مجلة الدبلوماسي*(24).

جاك لومبار. (1997). *مدخل إلى الإثنولوجيا*. (حسين قبيسي، المترجمون) الدار البيضاء.

جين شارب . (2009). *من الدكتاتورية الى الديمقراطية*. مؤسسة ألبرت اينشتاين.

سامح الشريف. (2017). *الشعارات السياسية دراسة نظرية و تطبيقية*. . العربي للنشر و التوزيع.

شراك, أ .(2013) .الغرافيتيا و الثورات .*مجلة كلية الاداب و العلوم الاجتماعية*.173-141 ,(19)

عبد العالي دبلة. (2021). *من الحراك الشعبي إلى الجزائر الجديدة وقضايا سوسيولوجية* . الجزائر: دار الكتاب المعاصر.

فتيحة لبني. (2016). الغرافيتيا و الهوية في الجزائر. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع،أطروحة دكتوراه، الجزائر: جامعة الجزائر.

محمد السيطلي . (2019). *حراك الجزائر، ازمة النظام بين الاصلاح او القطعية*. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الاسلامية.

محمد توفيق السهلي. (2020). *المعتقدات الشعبية في التراث العربي*. فلسطين: دار الجليل فلسطين.

نورالدين كوسة . (2021). أهمية توظيف المقاربة التاويلية في الدراسات الأنثروبولوجية لتفكيك المعاني الرمزية . *مجلة رفوف، 9*(1)، 308-293.

نورة عامرة. (8 مارس, 2020). الكتابات الجدارية بين تراث الماضي و ارهاصات المستقبل. *مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية، 8*(1)، 94-80.

Abaza, M. (2013). *wolla street croffity . theory cultur society.*

Gilbert, B. (1993). *Graffiti.* paris: flammarion.